عناية الإسلام
بالمحافظة على الأموال والتحذير من أكلها
بالباطل

د/ محمد شبل عطية

مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين .... (وبعد)

فإننى أقدم هذا البحث الموجز المتعلق بعناية الإسلام بالأموال للقراء علهم يعودون لتعاليم دينهم ويعتنون بأموالهم دون إسراف أو تقتير لما للأموال من أهمية فى وسائل التنمية الاقتصادية ورقى الحياة الاجتماعية وتقدمها فهى عنصر الحياة، وأساس للتبادل التجارى وتبادل المنافع والمصالح على ظهر هذه البسيطة، لذلك أحاطها الاسلام بسياج قوى ووضع لها حداً بحيث لا يترتب عليه طغيان أو استئثار أو احتكار بل أمر بتوزيعه توزيعاً عادلاًبين جميع البشر من أجل القضاء على الفاقة والفقر والبطالة وما يترتب عليها من سلوكيات شاذة تضر بالنفس أو المجتمع عن طريق الخيانة أو السرقة والاغتصاب أو الغش والتزوير أو غير ذلك مما يترتب عليه أكل لأموال الناس بالباطل ولما شاعت هذه الظواهر بين البشر فى العصر الحاضر آثرت اختيار هذا الموضوع علـه أن يعيد الأذهان إلى رحاب الاسلام بالرجوع إلى الكتاب والسنة والتمسك بالقيم الخلقية فى المعاملة والاقتداء بالسلف الصالح فى تحقق العدل والمحافظة على الحقوق وانتشار الألفة والمحبة بين الناس ليمّكن الله لهم فى الأرض ويبدل خوفهم أمناً وتتحقق سعادتهم فى الدنيا والآخرة.

* عناية الإسلام بتنظيم الحياة *

إن الإسلام قد اعتنى بتنظيم حياة الإنسان بقسميها الروحى والمادى حتى يتلاءم مع الحياة ويتعايش مع من حوله فى سعادة واطمئنان، فوضع للعنصر المادى فى الإنسان نظاماً يعود عليه بالنفع ويبعده عن الضر بنفسه والاضرار بغيره

يقول الله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرضِ حَلالاً طَيِباً وَلاتَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيَطانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِيِّن ﴾ [١] .

فالآية نداء لبنى آدم بأن يأكلوا من رزق الله مما فى الأرض حلالاً طيباً، والأمر يستعمل للوجوب إذا كان لقوام البنية وللندب كالأكل مع الضيف وللاباحة لغير ما ذكر، ويظهر أن المراد من الأمر بالأكل هنا الإباحة أى كلوا من الطيب المباح مما هو مأذون فيه شرعاً وابتعدوا عن المحرمات التى يزينها لكم الشيطان، أو تمتعوا بأنواع الرزق التى أباحها الله لكم من الحلالات والمستلذات وخص الأكل لأن أغلب الأنتفاع به، وقال الله تعالى ﴿ يَابَنِى آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ وَكُلُواْ وَاشرَبُواْ وَلاَتُسرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسرِفِينَ ﴾ [٢] .

والخطاب لبنى آدم جميعاً بأن يلبسوا أفخر الثياب وأجملها عند كل عبادة من صلاة وطواف وحج وغيرها وأن يأكلوا مما أباحه الله لهم فالله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ثم نهاهم الله عن الإسراف فى الأكل والشرب والزينة بالنفس والمال لأن الله لايحب المسرفين.

ولقد جاء الإسلام بقوانين مالية للقضاء على تكدس الثروات والعمل على توزيعها بالعدل من هذه القوانين: قانون الزكاة، وقانون النفقة، وقانون الوقف، وقانون الوصية، وقانون المغانم، وقانون النذور، وقانون الكفارات، وقانون صدقات الفطر، وقانون المواريث، وقانون الركاز- أى ما يوجد فى بطن الأرض من معادن - وقوانين الحفظ على الحقوق ومنع التعدى على الأموال وغيرها، .... ولما كان الناس جميعاً متساويين فى الاستفادة من خيرات الأرض والسماء، وكان المال وسيلة إلى الخير وقضاء لمنافع الناس، كان من واجب الإنسان أن يسعى ويكتسب ويحصل

---

[١] البقرة آية ١٦٨

[٢] الأعراف آية ٣١

عليه نتيجة عمل شريف وسعى مشروع من هنا جاءت مشروعية التملك فى الإسلام كما يسمح الإسلام بالتملك عن طريق الهبة والوصية والإرث مما لا يسعى فيه الإنسان وهو طريق مشروع شرعه الله لخلقه حتى لا تمتد يد العاجز عن الكسب إلى الاستيلاء على أموال الناس، ولتتحقق العدالة الاسلامية التى هى منع الفرد من استغلال رأس المال على حساب بؤس الجماهير وشقائهم وإشراف الدولة على فعالية الفرد الاقتصادية ومراقبتها له وتحقيق التكافل الاجتماعى بين المؤمنين[١] بحيث تمحو ظاهرة الفاقة والحرمان وتفاوت الثروات تفاوتاً فاحشاً يؤدى إلى الطبقية وظهور الرأسمالية التى يترتب عليها الإنحلال الخلقى ....

والقرآن كتاب الله الخالد الذى ﴿ لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٢] كفيل بتحقيق سعادة الدنيا والآخرة لإشتماله على المبادئ والقوانين التى تنظم حياة البشر .

قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] خطاب لجميع الناس لينبههم إلى أثره فيهم، قال صاحب الكشاف (قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد العظيمة من الموعظة والتنبيه على التوحيد ودواء الصدور من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم)[٤] . .

وقال عز شأنه ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[٥] أى ما تركنا وما أغفلنا فى القرآن شيئاً من أمر الدين يحتاج الناس إليه فى أمورهم إلا بيناه وقيل المراد بالكتاب

---

[١] نشأة المجتمع الاسلامى ص١٤٨ أميرية الأزهر سنة ١٩٦٧ بتصرف

[٢] فصلت آية ٤٢

[٣] يونس آية ٥٧

[٤] الكشاف جـ٢ ص٣٥٣

[٥] فى الآية ٣٨ من سورة الأنعام

اللوح المحفوظ ويكون المعنى ما تركنا فى اللوح المحفوظ شيئاً فلم نكتبه ورجح الإمام أبو حيان أن المراد بالكتاب القرآن العظيم ثم قال وهذا الذى يقتضيه سياق الآية والمعنى[١] .

وقال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وعد صريح من الخالق لعباده المؤمنين بتحقيق عزتهم فى الدنيا والآخرة وتتحقق عزة الله بقهره وغلبته لأعدائه وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم[٣] والتمكين لهم فى الأرض، والقرآن قد أعطى الدنيا النظام الكامل ليجمعها على كلمة سواء ويوحد بينها على أسس قويمة تجمع بين الناس وتوحد بين صفوفهم. قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٤] من حيث أنهم منتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان الموصل للحياة الأبدية كما أنهم منتسبون إلى أصل واحد فى الخلقة فكلهم لآدم وآدم من تراب.

جاء عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)[٥] ففيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا. والقرآن يحدثنا فى كثير من آياته عن الصلة الوثيقة بين المطالب المادية والمعانى الروحية بل أنه كثيراً ما يلفت النظر إلى الماديات باعتبارها أثراً والاعلى المؤثر فيه وهو الله تعالى وهو منهج واقعى بعيد عن المقدمات النظرية التى تستعصى على الأفهام وكأن القرآن بهذا المعنى يتغيا أحداث

---

[١] صفوة التفاسير جـ٧ ص٣٨٩ ط دار الرشيد دمشق

[٢] فى الآية ٨ من سورة المنافقون

[٣] حاشية الجمل جـ٤ ص٣٤٨ عيسى الحلبى

[٤] فى الآية ١٠ من سورة الحجرات

[٥] فتح البارى كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم جـ١٠ صـ٤٥٢ ط دار الريان

علاقة تقوم على الترابط والانسجام بين عناصر الوجود كله[١] وهذا المنهج يحافظ على خمسة أمور والتى يسمونها بالضرورات الخمس وهى المحافظة على النفس وعلى الدين وعلى النسل وعلى العقل وعلى المال ولذلك قال الإمام الغزالى: إن جلب المنفعة ودفع المضار مقاصد الخلق وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم لكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة يجب دفعها[٢].

*** وظيفة المال وأهميته فى الحياة ***

المال نعمة عظمى من أجل نعم الله على خلقه التى قال فى شأنها ﴿ وَإِن تَعُدّوُاْ نِعمَةَ ٱللّهِ لاَتُحصُوهَا ﴾ [٣] وهو ملكه سبحانه وتعالى إيجاداً وميراثاً فهو ميراث يتناقله اللاحق عن السابق من أجل تحقق الخلافة والعمران على ظهر الأرض ولذلك ذكر نوح عليه السلام قومه بهذه المنة بقوله ﴿ فَقُلتُ استَغفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غَفّاراً. يُرسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيكُم مّدرَاراً. وَيُمدِدكُم بِأَموَالٍ وَبَنِينَ وَيَجعَل لَّكُم جَنَّاتٍ وَيَجعَل لَّكُم أَنهَاراً ﴾ [٤] .

قال ابن كثير: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم

---

[١] مجلة كلية أصول الدين - روح الحضارة الاسلامية صـ١٢٤-١٢٥ ط ١٩٨١م

[٢] أنظر المستصفى للغزالى جـ١ صـ٢٨٧

[٣] النحل آية ١٨ وشبيهتها فى إبراهيم ٣٤

[٤] نوح الآيات من ١٠ ـ ١٢

الضرع وأمدكم بأموال وبنين أى أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها[١] لسقى الحرث والنسل.

ووظائف المال كثيرة منها الإنفاق على الأسرة وسد حاجتها من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقضاء المصالح المتعلقة بها. ومنها دفع أجور المواصلات والتنقل سعياً على العمل والتعلم وكذلك الهجرة من أجل التذكر والموعظة.

قال تعالى ﴿ وَمَن يُهَاجِر فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِد فِي ٱلأَرضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً .. ﴾[٢]

ومنها تبادل المنافع والشئون التجارية والاقتصادية بين البشر تحقيقاً للتكامل الاقتصادى وسد حاجة الشعوب، ومنها تحقيق الرعاية الصحية والاجتماعية بالنسبة للأسرة والمجتمع الإنسانى، ومنها شراء ما يحتاج إليه الإنسان من المباحات من الخيل المسومة والأنعام والحرث، ومنها دفع أجور العمل والعمال بالإنتهاء من العمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)[٣] ومنها الإنفاق فى سبيل الله ووجوهه متعددة كالإنفاق على الوالدين واليتامى والمساكين وابن السبيل.

قال تعالى ﴿ يَسئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُل مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ فَلِلوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفعَلُواْ مِن خَيرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[٤]

نزلت لما قال بعض الصحابة يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا، وأين نضعها فجاء الأمر بإنفاقها فى الوجوه المذكورة. فالاسلام فرض فى المال التزامات فهو يرى أن المال كله لله الذى له ملك السموات والأرض، والإنسان فى اختصاصه ببعض المال

---

[١] تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٤٢٥ ط عيسى الحلبى

[٢] فى الآية ١٠٠ من سورة النساء

[٣] سنن ابن ماجه كتاب الرهون باب أجر الجير جـ٢ صـ٨١٧

[٤] البقرة آية ٢١٥

إنما هو خليفة لله فيه فوجب عليه أن ينهض بأعباء الخلافة ويحسن القيام بتكاليفها قال تعالى ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّستَخلَفِينَ فِيهِ ﴾[١] .

قال الإمام النسفى (يعنى أن الأموال التى فى أيديكم إنما هى أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما موليكم إياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فهى ليست بأموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب فأنفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل الإنفاق من مال غيره إذا أذن له فيه، أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى أيديكم بتوريثه إياكم وسينقله منكم إلى من بعدكم[٢] من الأولاد والأقارب ممن له حق فى الميراث، وأول الالتزامات فى المال فريضة الزكاة حتى تفيض بالبر على الطبقات المحرومة من المحتاجين توثيقاً للروابط ونشر الألفة والمحبة بين الناس والقضاء على وسائل الانحراف لدى المحتاجين إذا لم يجدوا تراحماً وعطفاً من الأثرياء. ويلى ذلك الإنفاق فى سبيل الله وهو أوسع نطاقاً من فريضة الزكاة المشروعة وليس له نصاب محدد وقد افترضه الله لسد مالم تسد الزكاة من حاجات المجتمع ومتطلباته، والاسلام أمر بالإنفاق لإعلاء كلمة الله سواء فى إعداد العدة لمواجهة العدو أو لرفع مستوى المسلمين علمياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً لأن سبيل الله تشمل كل ما أمر الله بالإنفاق فيه لإعلاء كلمة الله من جهاد وتحقيق عدل.

قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا هَل أَدُلُّكُم عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤمِنُون بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَموَالِكُم وَأَنفُسِكُم ذَلِكُم خَيرٌ لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ ﴾[٣] .

---

[١] فى الآية ٦ من سورة الحديد

[٢] تفسير النسفى جـ٤ صـ٢٢٣

[٣] الصف الآيتان ١٠ ، ١١

جاء عن عبد الله بن سلام أن الصحابة رضى الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه فأنزل الله تعالىهذه السورة ومن جملتها هذه الآية (يأيها الذين آمنوا إلخ) ثم فسر هذه التجارة العظيمة التى لا تبور والتى هى محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ...) وهذه التجارة خير من تجارة الدنيا والكد لها والتصدى لها وحدها[١] وقدم الأموال لأهميتها فى إعداد العدة وتحقيق المطالب، قال بعض الحكماء العدل ميزان الله فى الأرض وضعه للخلق ونصبه للحق من أجل ثبوته وتحققه، وثالث التكاليف الايجابية ما فرضه الاسلام على صاحب المال من مداومة استثماره ليساهم فى تربية الثروة القومية[٢] والمال زينة للحياة ووسيلة لتحقق سعادة البشر .

قال تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيرٌ عِندَ رَبِكَ ثَوَاباً وَخَيرُ أَمَلاً ﴾[٣] .

قال الإمام القرطبى (المال والبنون زينة الحياة المحقرة فلا تبيعوها نفوسكم وهو رد على عينية بن حصن وأمثاله لما افتخروا بالغنى والشرف، وإنما كان المال والبنون زينة الحياة لأن فى المال جمالاً ونفعاً، وفى البنين قوة ودفعاً، وقال على رضى الله عنه الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، قال ابن عباس هى الصلوات الخمس، وقال أيضاً هى كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة[٤] وقال الجمهور هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. فإن النطق بكل كلمة منها له حسنة

---

[١] تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٣٦١

[٢] المجتمع الإسلامى صـ٦٦-٧٦ بتصرف ط ١٩٦٧ أميرية الأزهر

[٣] سورة الكهف آية ٤٦

[٤] تفسير القرطبى جـ٦ صـ٤٠٣٠ - ٤٠٣١ ط دار الريان

وأجر وهى من أفضل أنواع الذكر، قال الإمام الغزالى (وحب الدنيا رأس كل خطيئة ولايزال ابن آدم يجرى وراءها فى جشع وفى تكالب فتستعبده إلى أن يهلك والمؤمن يستعبد الدنيا فتذل له فيتخذها مطية للآخرة ومحب الدنيا بخيل لأنه متكالب عليها[١] ولقد روى البخارى عن عطاء قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لو كان لابن آدم واديان من مال لأبتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)[٢] والمقياس الصحيح لأداء حق المال وتحقق الخلافة فيه ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ ﴾[٣] أما حب الجاه والغرور والرياء والكبر والعجب والشح والبخل فهى وسائل شاذة وآفات ضارة تمنع تحقق الخلافة فى المال ويجب أن يتخلى عنها المؤمن إذا أراد أن يخلص لله نيته وقصده.

يقول الشيخ القاسمى عند تفسير قوله تعالى ﴿ مَا أُرِيدُ مِنهُم مِّن رِزقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطعِمُونِ. إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلقُوَّةِ المَتِينُ ﴾[٤] الله تعالى لا يطلب من عباده رزقاً ولا إطعاماً بل هو الذى يرزقهم وإنما يطلب منهم عبادته ليصرفوا ما أنعم به عليهم إلى ما خلقوا لأجله[٥] ومما سبق نرى أن البذل والإنفاق أول الدعائم فى حياة الأمم وأساس نجاح الدعوات للقيام بأعباء الأمة وما تتطلبه حياتها والاسلام دعا إلى التضحية والبذل والإنفاق لسد حاجة المحتاج وحاجة المجتمع ولقد روى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه

---

[١] المنقذ من الضلال صـ٦٦ ط دار الكتب الحديثة

[٢] صحيح البخارى باب ما يتقى من فتنة المال مجلد٢ جـ٤ صـ١١٩ بحاشية السندى

[٣] سورة الحشر آية ٩

[٤] الذاريات آيتا ٥٧ ، ٥٨

[٥] تفسير القاسمى جـ١٥ صـ٥٥٣٨ ط عيسى الحلبى

الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها)[١] وهكذا تكون أهمية المال وضرورته فى الحياة من أجل الأستقرار وتحقق الخلافة والعمران على ظهر الأرض تحقيقاً للغاية العظمى من خلق الإنسان وهى الطاعة والعبادة بالعلم والعمل قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعبُدُونِ .... ﴾[٢] .

*** دعوة القرآن إلى العمل ***

الكون بجميع أجزائه مسخر لخدمة الإنسان الذى كرمه الله بالعقل وحسن الخلقه ليكون خليفة لله فى أرضه يعمرها بالطاعة والعبادة قال تعالى ﴿ وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً ﴾[٣] .

وقال تعالى ﴿ وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِى ءادَمَ وَحَمَلنَاهُم فِي البَّرِ وَالبَحرِ ورَزَقنَاهُم مِنَ الطَّيِبَاتِ وَفَضَّلنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّن خَلَقنَا تَفضِيلاً ﴾ [٤] .

وليستفيد مما فى الكون من مخلوقات كونيه سخرها الله له من أجل تسخيرها فى تعمير الكون قال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزقاً لَّكُم وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلكَ لِتَجرِىَ فِي البَحرِ بِأَمرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمسَ وَالقَمَرَ دَائِبِينِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيلَ وَالنَّهَارَ. وَءَاتَاكُم مِن كُلِ مَا سَأَلتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعمَتَ اللَّهِ لاَ تُحصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٥] .

قال الشيخ سليمان الجمل (ذكر الله تعالى إنعامه بإنزال المطر وإخراج الثمر لأجل الرزق والانتفاع بها كما ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء

---

[١] أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة باب إنفاق المال فى حقه جـ١ صـ٢٤٥ بحاشية السندى

[٢] الذاريات آية ٥٦

[٣] البقرة آية ٣٠

[٤] الاسراء آية ٧٠

[٥] إبراهيم الآيات من ٣٢ ـ ٣٤

لأجل الإنتفاع بها فى جلب الرزق الذى هو الثمرات وغيرها من بلد إلى آخر فهو من تمام نعم الله تعالى على عباده (وسخر لكم الأنهار) ذللها لكم تجدونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به فى سقى الزروع والثمار ولا فى الشراب. أيضاً ذكر نعمته على عباده فى تسخير الأنهار وتفجير العيون لأجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده وسخر الشمس والقمر يجريان دائماً فيما يعود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر الدهر وسخر لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله[1]، وأتاكم الله من فضله من كل ماسألتموه مما أنتم بحاجة إليه وإن تعدوا نعم الله عليكم لا تحصوها لكثرتها وتنوعها إلى ظاهرة وباطنه ومع كثرتها وتنوعها فإن الإنسان لايشكر الله على هذه النعم وذلك لظلمه وكفره.

وقال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِنهُ شَرَابٌ وَمِنهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرعَ وَالزَّيتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعنَابَ وَمِن كُلِ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتُ بِأَمرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَاتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ. وَمَا ذَرَأَ لَكُم فِى الأَرضِ مُختَلِفاً أَلوَانُهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَةً لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ. وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ البَحرَ لِتَأكُلُوا مِنهُ لَحماً طَرِياً وَتَستَخرِجُوا مِنهُ حِلِيَةً تَلبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبتَغُوا مِن فَضلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشكُرُونَ. وَأَلقَى فِى الأَرضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُم وَأَنهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُم تَهتَدُونَ. وَعَلاَمَاتٍ وَبِالنَّجمِ هُم يَهتَدُونَ ﴾[2] .قال ابن كثير (لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الأنعام والدواب شرع فى ذكر نعمته عليهم فى إنزال المطر من السماء وجعله عذباً يسوغ لكم شرابه وأخرج لكم منه شجراً ترعون فيه أنعامكم ثم نبه عباده على آياته العظام فى تسخير الليل والنهار يتعاقبان والشمس والقمر يدوران والنجوم فى أرجاء السموات

---

[1] حاشية الجمل على الجلالين جـ٢ صـ٥٢٥ ـ ٥٢٦ ط عيسى الحلبى بتصرف.

[2] النحل الآيات من ١٠ ـ ١٦

نوراً وضياء ليهتدى بها فى الظلمات ثم نبه على ما خلق فى الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف أشكالها وألوانها ثم أخبر عن تسخيره للبحر وتذليله لهم وتيسيرها للركوب فيه وجعله السمك والحيتان فيه وإحلاله لعباده لحمها حياً وميتاً وكذلك ما خلقه فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة ليستخرجوا منه حلية يلبسونها وتسخيره البحر لحمل السفن التى تمخره أى تشقه ثم ذكر تعالى الأرض وما ألقى فيها من الرواسى الشامخات والجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تضطرب بما عليها وجعل فيها أنهاراً تجرى من مكان إلى آخر رزقاً للعباد وجعل فيها سبلاً أى طرقاً يسلك فيها من بلاد إلى بلاد وعلامات يستدل بها المسافرون بحراً وبراً إذا ضلوا الطريق وبالنجم هم يهتدون فى ظلام الليل ..)[١] وفى الآيات السابقة وغيرها دعوة إلى الأستفادة من خيرات الكون التى سخرها الله للإنسان. وتلك سنة الله فى خلقه ليتحقق العمران على ظهر الأرض، والكون كتاب منظور للاستفادة منه وهذا يفتح المجال للبحث فى العلوم الكونية والفضائية والجيولوجية والاقتصادية وغيرها، وقد أمر الله بالعمل والسعى من أجل تحقق الرزق والاستقرار قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزقِهِ وَإِلَيهِ النُّشُورُ ﴾ [٢] .

أى أن الله سبحانه وتعالى جعل لكم الأرض لينة سهلة المسالك فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها للمكاسب والتجارات وكلوا من رزقه أى انتفعوا بما أنعم به جل وعلا عليكم من أنواع الكسب والرزق وكثيراً ما يعبر عن جوه الانتفاع بالأكل لأنه الأهم الأعم [٣] وأضاف الرزق إليه سبحانه لأنه بيده وحده حيث ضمن الأرزاق لكل مخلوق.

---

[١] تفسير ابن كثير جـ٢ صـ٥٦٣ ـ ٥٦٥ بتلخيص وتصرف ط عيسى الحلبى

[٢] الملك آية ١٥

[٣] صفوة التفاسير جـ٢٩ صـ٤١٨

فقال تعالى ﴿ وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرضِ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ رِزقُهَا ﴾[١] حتى لا يظن ظان أن الرزق بيده كما قال قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىَ عِلمٍ عِندِى ﴾ [٢] وكانت النتيجة أن خسف الله به وبداره الأرض.

ودعا الإسلام إلى العمل فى شتى ميادين الحياة قال تعالى ﴿ وَقُلِ اعمَلوا فَسيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَٱلمُؤمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ ﴾[٣] أى اعملوا ما شئتم من الأعمال فاعمالكم لا تخفى على الله وستعرض يوم الحساب على الرسول والمؤمنين وستردون إلى الذى لا تخفى عليه خافية فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر. فعليكم أن تعملوا بجد وأن تخلصوا لله فى أعمالكم لتتحقق عزتكم ونصرتكم، ورفع الله بعض الناس على بعض درجات فى الدنيا من أجل استمرار العمل وأدائه على أكمل وجه، ولذلك تتفاوت مراتب الناس ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، وجعل العمل يتفق مع طاقة الإنسان وقدرته حتى لا يمل عن أدائه،

قال تعالى ﴿لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفساً إِلاَّ وُسعَهَا﴾ [٤] أى الإ ما تسعه قدرتها فضلاً منه ورحمة من أجل التيسير ورفع الحرج فإن خير العمل ما داوم عليه صاحبه وإن قل، وكان التكليف على قدر الطاقة حتى لا يمل الإنسان من العمل أو يؤديه ناقصاً أو يغش فى الصنعة، وحث الإسلام على الجد فى العمل والنشاط فيه من أجل نهضة الأمم وتقدم الشعوب الإنسانية قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلاً ﴾ [٥] أى لا يضيع الله ثواب من أحسن عمله وأخلص

---

[١] هود آية ٦

[٢] القصص آية ٧٨

[٣] التوبة آية ١٠٥

[٤] فى الآية الأخيرة من سورة البقرة

[٥] الكهف آية ٣٠

لله فيه فأداه بإتقان على أكمل وجه قاصداً به وجه الله تعالى لينال كسباً مادياً دنيوياً من أجل المعيشة وكسباً أخروياً وهو رضا الله وجزيل ثوابه بل إن الله تعالى أمر الناس بالسعى على المعاش والعبادة معاً لأن العمل عبادة إذا قصد به صاحبه وجه الله تعالى وأداه على أكمل وجه موقناً بأن الله رقيب عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[١] .

وكثيراً ما يقرن الشرع بين العقيدة والعمل قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَت لَهُم جَنَّاتُ الفِردَوسِ نُزُلاً ﴾ [٢] .

وهذا جزاء الصادقين فى أعمالهم لأنه لا عمل يقبل بلا إيمان ولا إيمان بدون عمل، ولذلك جعل الله عمل الكفار كالسراب قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعمَالُهُم كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحسَبُهُ الظَّمـأنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَم يَجِدهُ شَيئاً ... ﴾[٣] وقال تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرضِ وَابتَغُوا مِن فَضلِ اللَّهِ وَاذكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُم تُفلِحُونَ ﴾ [٤] .

قال ابن كثير: لما حجر عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الإنتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله وأن يذكروا الله كثيراً فى حال البيع والشراء والأخذ والإعطاء، ولا تشغلهم الدنيا عن الذى ينفعهم فى الدار الآخرة، وقد كان عراك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال (اللهم إنى أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خيرَ الرازقين)[٥]

---

[١] كشف الغطاء للعجلونى جـ٢ صـ٢٨٦ ونسبة للطبرانى

[٢] الكهف آية ١٠٧

[٣] النور آية ٣٩

[٤] الجمعة آية ١٠

[٥] تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٣٦٧ والحديث رواه ابن أبى حاتم

وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتاجر ويمشى فى الأسواق ويخسف نعله ويبيع ويشترى، وسافر فى تجارة عمه أبى طالب إلى بلاد الشام وكذلك فى تجارة السيدة خديجة رضى الله عنها، كما اشتغل برعى الغنم لأهله وشارك أصحابه فى حفر الخندق وكذلك اشتغل الصديق رضى الله عنه بالتجارة وسيدنا عثمان وغيرهما من الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين، وكانوا يأخذون بالأسباب ويتركون النتائج على الله ميسر الأسباب ومدبر الأكتساب، ولذلك جاء الأمر الربانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1] .

فالعلم بأن الله ميسر الأسباب وبشروط يراعيها الإنسان فى طريق الكسب من الإكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار، ومن غير أن يكون درهمه ضرورى أحب إليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل إلا مع الزهد فى الدنيا[2] ، عن سهل ابن سعد الساعدى قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال: (إزهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)[3] .

---

[1] آل عمران آيتا ٢٦ ، ٢٧

[2] إحياء علوم الدين للغزالى جـ٢ ص٢٥

[3] مختصر البنراوى على الاربعين النووية ص١٠٧ ط٥ نقلا عن سنن ابن ماجه.

لأن الإنسان إذا تفتحت عيناه على ما فى أيدى الناس وطمع فيه حاول بكل الوسائل أن يعتمد على ما يصل إليه عن طريقهم ثم يتواكل ويعمد إلى الكسل والخمول مع أن الاسلام يوجه الناس إلى العمل الجاد، ويبغض البطالة والكسل والتواكل.

(مر أعرابى على جماعة من البصرة فسألهم من سيد هذه المدينة فأجابوه بأنه الحسن البصرى فسألهم بما كانت سيادته؟ فأجابوه بما يرفع شأن الأفراد إذ قالوا أنه استغنى عما فى أيدى الناس إليه فقال الرجل إنه السيد حقاً)[١] .

نعم إن الزهد فى الدنيا والرضا بما قسم الله والتخلى عما فى أيدى الناس غاية لا يدركها إلا الاتقياء، فالاسلام يوجه كل فرد إلى نفع ذاته وإلى نفع مجتمعه على السواء كما يدعو إلى المنافسة فى العمل وكل خير قال تعالى ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيرَاتِ﴾[٢] أى فسارعوا إلى ما هو خير لكم من طاعة الله واتباع شرعه بالعمل الجاد المثمر، وقد روى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)[٣] ، إن حرية العمل والسعى وراء الرزق أمر مطلوب شرعاً بشرط أن لا يكون ضرراً ولا ضراراً، وأن يتفق مع تعاليم الإسلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلأَرضِ حَلَٰلاً طَيِّبَاً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[٤] .

فالآية دعوة إلى الأنتفاع بما فى الأرض والأكل من الطيب الحلال.

قال الإمام القرطبى (إنها نزلت فى ثقيف وخزاعة وبنى مدلج فيما حرموه على أنفسهم من الأنعام، والطيب هو الحلال فهو تأكيد لاختلاف اللفظ ، وقال الشافعى

---

[١] منبر الاسلام العدد ١٢ ص٥٠ ط ١٣٩١

[٢] فى الآية ٤٨ من سورة المائدة

[٣] رواه البخارى فى كتاب البيوع باب السهولة فى البيع والشراء جـ٢ ص٧ بحاشية السندى

[٤] البقرة آية ١٦٨

الطيب المستلذ، وسمى الحلال حلالاً لإنحلال عقد الخطر عنه، وقال سهل ابن عبد الله النجاة فى ثلاثة أكل الحلال وأداء الفرائض والاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم)[١]، وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى عن المقدام (ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)[٢] ، ولقد أباح الاسلام كل وجوه الكسب الحلال

قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقنَاكُم وَٱشكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُم إِيَّاهُ تَعبُدُونَ ﴾[٣] نداء إلى المؤمنين بأن يأكلوا من المستلزات أو من الحلالات والمباحات من رزق الله فى الأرض والسماء وأن يشكروا الله على نعمه من أجل تحقق عبادته سبحانه. ونعى سبحانه وتعالى من يحرم الطيبات على نفسه

فقال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاتُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُم وَلاَ تَعتَدُواْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلمُعتَدِينَ. وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى أَنتُم بِهِ مُؤمِنُونَ﴾[٤] .

والمعنى: يأيها الذين آمنوا لا تحرموا ما طاب ولذ من الحلال فإنه مما تستلذه النفس ويميل إليه القلب ولا تمنعوا أنفسكم من الطيبات منع تحريم، أو لا تقولوا حرمنا على أنفسنا كذا وكذا مما هو مباح لكم ولا تجاوزوا حدود ما حرم الله عليكم، وكلوا مما رزقكم الله حالة كونه حلالاً لا إثم فيه كالربا والرشوة والسحت فإنها إثم وفسوق واتقوا الله فى الأكل واللباس والنساء وغيرها فلا تحرموا ما أحل الله ولا تحلوا ما حرم الله إن كنتم مؤمنين حقاً[٥] ، وسبب نزول الآية روى أن رسول الله صلى

---

[١] تفسير القرطبى جـ١ ص٥٨٧

[٢] صحيح البخارى كتاب البيوع باب كسب الرجل من عمل يده جـ٢ ص٦ بحاشية السندى

[٣] البقرة آية ١٧٢

[٤] المائدة آيتا ٨٧،٨٨

[٥] التفسير الواضح مجلد ١ جـ٢ ص٦ بتصرف

الله عليه وسلم وصف القيامة يوماً لأصحابه فبالغ وأشبع الكلام فى الإنذار فرق فريق من الصحابة واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون وكان منهم على بن أبى طالب وابن مسعود والمقدام بن الأسود وسالم مولى أبى حذيفة وقدامة واتفقوا على أن يظلوا صائمين قائمين وألا يناموا على الفراش وألا يقربوا النساء وألا يأكلوا اللحم وأن يرفضوا الدنيا وأجمعوا على قيام الليل وصيام النهار، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم إنى لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإنى أقوم وأنام وأصوم وأفطر فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت الآية[١]، وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه (من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً من المسألة وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ومن طلبها حراماً مفاخراً لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان[٢]، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان طيباً حلالاً، روى الامام مسلم فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى ﴿ يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم ﴾ وقال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له[٣] ، بل إن العمل الحلال والأكل منه سبب فى استجابة الدعاء كما جاء عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما أنه قال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة؟ قال له يا سعد أطب

---

(١) التفسير الواضح مجلد ١ ج٢ ص٦

(٢) كنز العمال ح٩٢٤٥ ومسند ابن أبى شيبة جـ٧ ص١٦

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب عن أبى هريرة جـ٢ ص٧٠٢ وانظر سورتى البقرة والمؤمنون.

مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملاً أربعين يوماً[١] ، ولكن بعض الناس غرتهم الدنيا وشهواتها فالتجأوا إلى التعامل فى المحرمات وإلى أكل الحرام وأصبحوا لا يفرقون بين الحلال والحرام فى جميع معاملاتهم الدنيوية، فلقد استعبدهم المال وأصبح شغلهم الشاغل، مع أنه وسيلة لا غاية، فعن حكيم بن حزام قال(سألت النبى صلى الله عليه وسلم فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم قال إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى)[٢] ، يقول د/ محمد إقبال (والإنسان العصرى قد أغشاه نشاطه الفكرى عن توجيه روحه إلى الحياة الروحية الكاملة أى إلى حياة روحية تتغلغل فى أعماق النفس، فهو فى جلة الفكر فى صراع صريح مع نفسه، وهو فى مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية فى كفاح صريح مع غيره[٣] ، لذلك يرى الإسلام فرض المسئولية الفردية على كل إنسان بلغ أشده ورشده، كما يرى فرض المسئولية الجماعية على كل من قصر فى العمل أو نافق أو أهمل واجباته، قال تعالى ﴿ لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا أكتَسَبَتَ ﴾[٤] أى إذا كان التكليف على قدر الطاقة فإن لكل نفس جزاء ما عملت من خير أو اقترفت من شر يتحقق بالغش أو السرقة أو الأهمال والتخريب فى المعدات وأماكن العمل، ولقد روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كلكم راع ومسئول عن رعيته فالامام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل فى أهله راع وهو مسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى

---

[١] جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى جـ١ ص٢١٢ تحقيق د/محمد الأحمدى أبو النور

[٢] أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة جـ٤ ص٧٧

[٣] تجديد الفكر الدينى فى الاسلام ص ٢١٥ .

[٤] فى الآية الأخيرة من سورة البقرة

مسئولة عن رعيتها والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته قال والرجل فى مال أبيه راع ومسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[١] ، وبهذا يحمل الإسلام كل فرد من الأفراد المسئولية فيما أسند إليه من أعمال وما أوتمن عليه من رعيته فلا يضيع حق ولا يهمل واجب، وبذلك التحمل يكون لبنة فى بناء المجتمع. إن عِمل الفرد مهما كان ضئيلاً فهو متمم لعمل الآخرين، وبالتعاون تتوثق أركان الجماعات وتقوى، وللناس فى حياتهم مناهج ومسالك فمنهم أنانى يحب نفسه ولا هم له إلا أن يعيش فى عزلة عن الآخرين بل أنه يحرم العمل، وهذا الصنف من الناس لايرتبط بخدمة عامة لأنه مفتون بحب الدنيا وشهواتها ومن الناس من يكون همه جمع المال قال تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[٢] فالمزين هو الله تعالى عند الجمهور للإبتلاء، وسماها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاه على سبيل الخسة والتحقير، وبعد تعديد الأمور المذكورة أشار إليها بكونها متاع الدنيا وما متاع الدنيا فى الآخرة إلا قليل، والذين يعيشون لأنفسهم لهم غايات هى رضاؤهم بالحياة الدنيا دون التطلع إلى الآخرة التى هى أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، يقول تعالى مصوراً الحياة الدنيا فى حقارتها ودنوها وزوالها ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٣] قال النسفى (شبه حال الدنيا وسرعة تقصيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم

---

[١] صحيح البخارى باب العبد راع فى مال سيدة مجلد ١ جـ٢ ص٥٩ بحاشية السندى

[٢] آل عمران آية ١٤

[٣] الحديد آية ٢٠

من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاماً عقوبة لهم على جحودهم، فالدنيا وما فيها ليست إلا من محقرات الأمور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وأما الآخرة فما هى إلا أمور عظام من العذاب للكافرين والمغفرة والرضوان للمؤمنين)[١] .

وقال ابن حجر وصورة هذا المثل أن المرء يولد فينشأ فيقوى فيكسب المال والولد ويرأس ثم يأخذ بعد ذلك فى الانحطاط فيشيب ويضعف وتصيبه النوائب من مرض ونقص مال وعز ثم يموت فيضمحل أمره ويصير ماله لغيره فحاله كحال هذه الأرض[٢] ، ومن الناس من يستمد منهاج حياته من دينه ودنياه فيعمل لدنياه كما يعمل للآخره، وقد ربط الله دنيا الناس بدينهم لتتم سعادتهم قال تعالى ﴿ وَمَن أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعيَهَا وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعيُهُم مَّشكُوراً ﴾[٣] وقال الحكيم: إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، وأعمل لأخرتك كأنك تموت غدا ، فليفق الإنسان من غفلتة وليعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة ولن ينال المرء منها الا ما قدر له.

(دعوة الاسلام الى الحفاظ على المال وحمايته من التلف والضياع)

لما كان المال نعمة من نعم الله على خلقه جعله الله وسيلة من وسائل الحياة وزينة لها كما اتضح من قبل فى قوله تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيرٌ عِندَ رَبِكَ ثَوَاباً وَخَيرٌ أَمَلاً ﴾[٤] .

ومن ثم كانت حمايته حماية للحياة ذاتها، وحماية المال فى الإسلام تشمل حمايته ممن حازه، وحمايته من غير مالكه، فهى الحماية الكاملة لقوام العيش وزينة الحياة،

---

[١] تفسير النسفى جـ٤ ص٢٢٧ ط عيسى الحلبى

[٢] فتح البارى كتاب الرقاق جـ١١ ص٢٣٦ ط دار الريان.

[٣] الاسراء آية ١٩

[٤] سورة الكهف آية ٤٦

إن من يملك المال بطريق مشروع ليس حُرّ التصرف فيه كما يشاء، ولكنه مقيد ببعض الفرائض والضوابط التى تحول دون إساءة استعمال حقه فى الإنتفاع، ومن حاز مالاً وجب عليه أن ينفق منه بالمعروف فلا تبذير ولا تقتير، ولكن قصد واعتدال، ولذلك وصف الله عباد الرحمن بقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾[١] فإن خير الأمور أوساطها، ونهى الله عن الإسراف والتبذير فقال ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴾[٢] حيث أمر بإعطاء القريب حقه من البر والصلة والعطف والإحسان، وكذلك المسكين الذى ليس لديه ما يكفيه، وابن السبيل المسافر المنقطع عن أهله وبلده حباً فى الله بالدعوة إليه وقضاء لمصالح البشر، ثم نهى الله عن التبذير والإسراف لأنه يفسد الأخلاق ويحطم القيم، لما يؤدى إليه من الترف والإنحلال، ويحمل على سلوك كل طريق للحصول على المال فتشيع فى المجتمع الوسائل المحرمة. ولما فيه من ضياع للأموال، كما منع الإسلام ناقصى الأهلية من التصرف فى أموالهم حماية لها، كما حرم الإسلام التقتير والبخل وحبس المال عن التداول كالكنز والاحتكار وتعطيل المال ووقف نموه، قال تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[٣] وجاء عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[٤] ، أما الذين يكنزون المال فهم آثمون وينتظرهم العذاب الأليم

---

[١] الفرقان آية ٦٧

[٢] الإسراء آية ٢٦

[٣] آل عمران آية ١٨٠

[٤] رياض الصالحين باب تحريم الظلم ص١٨٠ نقلا عن صحيح مسلم.

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلفِضَّةَ ولا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَومَ يُحمَى عَلَيهَا فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُم وَجُنُوبُهُم وَظُهُورُهُم هَذَا مَا كَنَزتُم لأَنفُسِكُم فَذُوقُواْ مَا كُنتُم تَكنِزُونَ ﴾[١] وهؤلاء هم الذين يحتكرون السلع أو يحتكرون استغلال الموارد العامة كما يحدث فى عقود الامتياز عن طريق حبس السلعة عن التداول أو فرض الأسعار المرتفعة لعدم وجود المنافس فى الانتاج[٢] ، والمعنى فى الآية والذين يجمعون المال ويحبسونه عن الانفاق فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم جداً وجمع المال وكنزه لا يكون خطراً إلا إذا منعت فيه حقوق الله، قال ابن عمر (ما أدت زكاته وإن كان تحت سبع أرضين فليس بكنز، وكل ما لم تؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً على وجه الأرض)[٣] ، يوم يحمى على ما جمعوه من دراهم ودنانير فى النار فتكوى بها جباههم التى طالما اغترت بكثرة الأموال. وتكوى بها جنوبهم التى طالما تمتعت بالحرير والديباج، وتكوى بها ظهورهم التى طالما استندت للمال، ويقال لهم على سبيل التبكيت هذا جزاء ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكنزون[٤] ، ولقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له ذبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه. يعنى شدقيه. ثم يقول له أنا مالك أنا كنزك؟ ثم تلا ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾[٥] وعن ابن عباس (لما نزلت الآية كبر ذلك على المسلمين، فقال عمر رضى الله عنه أنا أفرج عنكم، فانطلق فقال يا نبى الله: إنه كبر على أصحابك هذه

---

[١] التوبة آيتا ٣٤،٣٥

[٢] الوعى الاسلامى العدد ٦٦ ص٢٤ ط شوال سنة١٣٩٨هـ

[٣] فتح البارى كتاب الزكاة باب ما أدى زكاته فليس بكنز جـ٢ ص٣٢٠ ط دار الريان

[٤] التفسير الواضح مجلد ١ ص٤٨ بتلخيص وتصرف

[٥] صحيح البخارى كتاب إثم مانع الزكاة جـ١ ص٢٤٤ بحاشية السندى

الآية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقى من أموالكم وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم فكبّر عمر، ثم قال له ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء. المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته. وإذا أمرها أطاعته. وإذا غاب عنها حفظته)[١] ، وقال الواحدى إن الآية نزلت فى العلماء والقراء من أهل الكتاب كانوا يأخذون الرشا من شغلهم، وهى المآكل التى كانوا يصيبونها من عوامهم والمفسرون مختلفون فعند بعضهم أنها فى أهل الكتاب خاصة، وقال السدى: هى فى أهل القبلة وقال الضحاك: هى عامة فى أهل الكتاب والمسلمين، وقال عطاء يريد من المؤمنين[٢] أما حماية المال من غير مالكه فقد حرم الإسلام كل اعتداء على المال وأخذه دون حق وقرر العقوبات والحدود الكفيلة بردع المعتدين حتى لا تمتد يدُ إلى مال الغير بغير وجه مشروع، وأخذ المال بغير حق يتناول ضروباً كثيرة كالحرابة والغصب والأختلاس والخديعة والسرقة والغش، والتزوير الذى شاع بين الناس فى العصر الحاضر بسبب سوء الأخلاق، وضياع الأمانة وغيبة الضمير، وتعد كلها سرقة، وقد حاربت الشريعة هذا الدافع فى نفس الإنسان بتقدير عقوبة القطع، لأن ذلك يؤدى إلى نقص الكسب وهى عقوبة عادلة، لأن أكل المال بغير حق لا يردعه إلا الحد الذى يحمى المال، ويوفر الأمن ويحول دون تكرار الجريمة أوشيوعها، والإسلام قد وضع القواعد التى تضبط المعاملات بين الناس كالنهى عن الربا وتطفيف الكيل والميزان، ووجوب الصدق والأمانة فى البيع والشراء وكتابة الدين والإشهاد عليه، وغير ذلك مما يتعلق بحفظ الأموال، وهكذا يقف التشريع الاسلامى بمبادئه وتعاليمه السمحة حارساً للمال من المستهترين والغاصبين والذين يستعبدهم المال فيطغيهم ويحملهم على المنكرات ليظل المال

---

[١] أخرجه أبو داود فى كتاب الزكاة جـ٢ ص١٢٩ ط دار الريان

[٢] أسباب النزول للواحدى ص١٤٠-١٤١ ط دار الكتب العلمية

وسيلة للحياة[١] ولذلك نهى الإسلام عن ضياعه بآية وسيلة، فلقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ؟أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى قال فلا تعطه مالك؟ قال: أرأيت إن قاتلنى قال: قاتله؟ قال: أرأيت إن قتلنى. قال فأنت فى الجنة. قال أرأيت إن قتلته قال هو فى النار)[٢] لأنه حريص على أخذ المال، وصاحبه يحافظ عليه ويقاتل دفاعاً عنه وعن النفس، وروى البخارى عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال)[٣] ، وإضاعة المال المراد به السرف فى إنفاقه كما قال الجمهور، وعن سعيد بن جبير إنفاقه فى الحرام، لأن الله جعل المال قياماً لمصالح العباد، وفى تبذيره تفويت تلك المصالح، إما فى حق نفسه وإما فى حق غيره، وقال السبكى الضابط فى ضياع المال أن لا يكون لغرض دينى ولا دنيوى، فإن انتفيا حرم قطعاً لأنه أنفق فى غير وجهه المأذون فيه شرعاً[٤] ، وقد يكون الضياع نتيجة سلب المال وأكله بالباطل.

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حُرّاً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره)[٥] ، كما يكون نتيجة الإسراف فى المكيفات المحرمة من تعاطى الخمور وأشباهها لما فى ذلك من إضرار بالعقول، وضياع للأموال، ولما يترتب عليها من الصد عن ذكر الله وعن

---

[١] الوعى الاسلامى العدد ٦٦ ص٢٨ ـ٢٩ بتصرف

[٢] فتح المنعم بشرح صحيح مسلم جـ٢ ص٢٤٧ باب من قتل دون ماله فهو شهيد

[٣] فتح البارى كتاب الاستقراض باب ما ينهى عن ضياع المال جـ٥ ص٨٣ ـ ٨٤

[٤] فتح البارى كتاب الأدب باب عقوق الوالدين جـ١ ص٧٨

[٥] صحيح البخارى كتاب الاجارة باب أثم من منع الأجير أجره جـ٢ ص٣٤

الصلاة، ولما يترتب على تناولها من الوقوع فى العداوة والبغضاء ونشر الأسرار الخاصة والعامة، قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا ٱلخمرُ وَٱلميسرُ وَٱلأَنصَابُ وَٱلأَزلاَمُ رِجسٌ مِن عَمَلِ ٱلشَّيطَانِ فَٱجتَنِبُوهُ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ ﴾[1] فى سبب نزولها أقوال منها ما رواه الترمذى عن أبى ميسرة عمرو بن شرحبيل عن عمر رضى الله عنه قال "اللهم بين لنا فى الخمر بيان شفاء"، فنزلت الآية التى فى البقرة ﴿ يسئلونك عن الخمر والميسر.....﴾ فدعى عمر فقرئت عليه، فقال "اللهم بين لنا فى الخمر بيان شفاء" فنزلت الآية التى فى النساء ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ... ﴾ فدعى عمر فقرئت عليه فقال "اللهم بين لنا فى الخمر بيان شفاء" فنزلت الآية التى فى المائدة ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ... ﴾ ثم قال حرمت الخمر بآية المائدة[2] ، والإسلام حرم شرب الخمر كما حرم الإتجار فيها فلعن شاربها وحاملها وعاصرها ومعتصرها والمحمولة إليه وآكل ثمنها لما فيها من أضرار وضياع للأموال، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قام عمر على المنبر فقال: أما بعد ـ نزل تحريم الخمر وهى من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل[3] ، ويلحق بها كل ما يتناوله الناس فى العصر الحاضر من المخدرات والحشيش والأفيون والأقراص والمواد المسكرة والمخدرة وما يشم، أو يتناول بحجة الأدوية كالبيرة والبوظة وغيرهما فلا يجوز التداوى بها، فلقد روى مسلم عن طارق ابن سويد الجعفى أنه سأل رسول الله صلىَ الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه وكره أن يصنعها، فقال إنما أصنعها للدواء فقال ليس بدواء ولكنه داء[4] ، إن شيوع هذه

---

[1] المائدة آية ٩٠ وما بعدها.

[2] أحكام القرآن لابن عربى جـ٢ ص١٤٩

[3] صحيح البخارى كتاب الاشربة مجلد ٢ جـ٣ ص٢٣١ بحاشية السندى

[4] أحكام القرآن لابن عربى جـ١ ص١٥١

غير محرم ولا مستقذر، والمقصود من الأكل الأخذ، ولما كان المال هو أساس التعامل وطبيعة الإنسان ترغب في تحصيله وجمعه وحبه، قال تعالى ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبّاً جَمّاً ﴾[١] هذا إخبار عن أحوال الناس بأنهم يأكلون الميراث أكلاً بنهم وشدة ويحبون المال أياً كان حباً شديداً، وهذا دليل على أن المغرورين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة مصداقاً لما قاله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه (يكبر ابن آدم ويكبر معه إثنان حب المال وطول العمر)[٢] .

وروى أيضاً عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام)[٣] ، فلقد نهى الإسلام عن أكل الأموال بالباطل وأصل الباطل الشئ الذاهب والطريق الحرام كالنهب والغصب، واللهو كالقمار وأجرة المغنى، وثمن الخمر والملاهى والرشوة، وشهادة الزور والخيانة فى الأمانة فكلها أكل للأموال بالباطل[٤] ، والمراد من نهى الاسلام عنها النهى عن أخذها والتعامل بها مع أن وسائل الكسب غير المشروع قد شاعت وانتشرت فى هذا العصر التى خربت فيه الذمم وضاعت الأخلاق، وأصبحت المادة هى مبتغى البشر بآية وسيلة ولذلك تعددت وسائل الكسب غير المشروع، والتى منها الغش أيا كان وعلى راس ذلك الغش التجارى من تطفيف الكيل والميزان، أو خلط السلع الرديئة بالجيدة أو الزيادة والجشع فى الأسعار، أو تزيين الردئ فى صورة حسنة والترويج له بآية وسيلة أو غير ذلك، ولقد حذر الله من هذا

---

[١] الفجر آية ٢٠ وما قبلها

[٢] صحيح البخارى بحاشية السندى باب فى الأمل وطوله مجلد٢ جـ٤ ص١١٧

[٣] صحيح البخارى بحاشية السندى كتاب البيوع باب من لم يبال من حيث كسب المال جـ٢ ص٤

[٤] حاشية الجمل جـ١ ص١٥١ بتصرف ط عيسى الحلبى

السلوك وبين عقابه قال تعالى ﴿ وَيلٌ لِّلمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَستَوفُونَ وَإِذَا كَالُوهُم أَو وَّزَنُوهُم يُخسِرُونَ ﴾[١] ولقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة للولاة والقواد فى مراقبة التجار ومنعهم من وسائل الغش حينما مر يوماً بالسوق فرأى رجلاً قد وضع الماء على الحبوب من أجل الزيادة فى الكيل والميزان فأنكر عليه ذلك كما يوضح الحديث المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال مر رسول الله عليه وسلم على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يارسول الله ،قال صلى الله عليه وسلم أفلاجعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا)[٢] ، وهو عام يدخل فيه الغش فى الصنعة والغش فى العمل، والغش فى الامتحانات وغيرها وكذلك التزوير وهو كثير فى المجتمعات البشريه فى العصر الحاضر، فكثيرا مانسمع عن تزوير فى الشهادات أوالبطاقات أو العقود أوالميراث أو فى التوقيعات مقابل كسب مادى حرام ، ومن التزوير شهادة الزور لأن فيها ضياع للحقوق ، وقد حذر الله من ذلك بقوله ﴿ فَٱجتَنِبُواْ ٱلرِّجسَ مِنَ ٱلأَوثَانِ وَٱجتَنِبُواْ قَولَ ٱلزُّورِ ﴾[٣] وخص عباده الصالحين بأنهم بعيدون عن ذلك بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لاَ يَشهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾[٤] وجاء عن أنس رضى الله عنه قال: (سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكبائر قال الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور)[٥] وقد حذر الله سبحانه وتعالى من أكل الأموال بالباطل قال تعالى ﴿ وَلاَ تَأكُلُواْ أَموَالَكُم بَينَكُم بِٱلبَاطِلِ وَتُدلُواْ بِهَا إِلَى ٱلحُكَّامِ لِتَأكُلُواْ فَرِيقا مِّن

---

[١] المطففين (١ - ٣)

[٢] رياض الصالحين باب النهى عن الغش والخداع ص٥٢٤ نقلا عن صحيح مسلم

[٣] فى الآية ٣٠ من سورة الحج

[٤] الفرقان آية ٧٢

[٥] صحيح البخارى بحاشية السندى كتاب الشهادات مجلد ١ ص١٠٧ بتصرف

الوسائل الهدامة فى العصر الحاضر، وخاصة بين الشباب نتيجة الأتصال بغير المسلمين أضاع الأموال، وخرب العقول، وأصاب الأجساد بعاهات وأمراض خبيثة، فقصرت هممهم عن الأعمال، وافتقدوا الحياة الإنسانية النبيلة العامرة بنور الإيمان.

جاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، وكان أبو بكر يلحق معهن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن)[١] وهكذا يقف الإسلام بالمرصاد لكل من يتعدى حدود الله فيتاجر فى المحرمات والممنوعات أو يضيع المال فيما لا يفيد من شهوات وملذات تتعارض مع مبادئ الدين، أو يمنعه عن التداول والمنفعة العامة، أو يمنع الحقوق فيه، فاتقوا الله فى الأموال وحافظوا عليها من الضياع والتلف، وأعلموا أنها منحة من الله من أجل تعمير الكون وليست للإفساد وإهلاك الحرث والنسل بالقتال والحرب كما يحدث من الدول المتجبرة الآن فى بعض بلدان المسلمين، وليفيق المسلمون من غفلتهم حتى يردعوا أعداء الحق وليعلموا أن الله سائل كل واحد عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

التحذير من أكل أموال الناس بالباطل

الإسلام دين الاعتدال والتوسط دعا البشر إلى مواكبة سير الحياة ودعاهم إلى الجد فى العمل والكسب الحلال، فأمرهم بالأكل من المباحات والحلالات فى المطعم والمشرب والملبس والمسكن، وكل وسائل التعامل، وتحصيل الأموال قال تعالى ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلاً طَيِّباً ﴾[٢] أى كلوا حلالاً طيباً مما رزقكم الله

---

[١] صحيح البخارى كتاب الأشربة مجلد ٢ جـ٣ ص٣٢١ بحاشية السندى

[٢] المائدة آية ٨٨

أَمـوَالِ ٱلنَّـاسِ بِـٱلإِثمِ وَأَنتُـم تَعلَمُـون ﴾[١] قـال ابـن العربـى: هـذه الآيـة مـن قواعـد المعـاملات وأسـاس المفاوضـات ينبنـى عليهـا، وهـى دليـل علـى أن البـاطل فـى المعاملات لا يجوز، والباطل ما لا فائدة فيه، وقال العلماء هذا النهـى محمـول علـى التحريم قطعاً، وقد ثبت عن أم سلمة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلىَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجتـه مـن بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت لـه بشئ من حق أخيـه فـلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة مـن النـار)[٢] ، وقـال مقـاتل نزلـت هـذه الآيـة فـى امرئ القيس بن عابس الكندى وفى عبدان بن أشوع الحضرمى وذلـك أنهمـا اختصمـا إلـى النبى صلى الله عليه وسلم فى أرض وكان امرؤ القيس المطلـوب وعبـدان الطـالب فأنزل الله هذه الآية، فحكم عبدان فى أرضه ولم يخاصمـه[٣] ومعنـى الآيـة (إن اللـه نهانا عن أكل أموال بعضنا بعضاً بالباطل وبدون وجه حق، ونهانا أن نلقى بـالأموال إلى الحكام مستعينين فى ذلك بالدفاع الباطل والرشـوة التـى تعطـى لبعض النفوس الضعيفة من الحكام ليصل صاحبها إلى غرضه، ولاشك أن كـثرة التقـاضى بالباطل وشيوع الرشوة فى الأمة لها خطرها، وكيف يجوز للمسلم أن يأكل مال أخيه المسـلم بالإثم والزور والرشوة وهو يعلم أنه حـرام ولا يـأكل فـى بطنـه إلا النـار[٤] ، وأكـل أموال الناس بالباطل فيه قولان: **أحدهما** أكلها بالرشا وهى كل هدية قصد بهـا التوصل إلى باطل أو أى غرض ما، وكل مـا يقدم علـى حسـاب العمـل فهـو رشـوة يجب أن يبتعد عنها المسلم **والثانى:** أخذها بغير حق، ولقد استثنى القـرآن مـن أكـل الأموال بالبـاطل العمـل فـى التجـارة إذا مـا صحبهـا الصـدق والأمانـة وحسـن النيـة

---

[١] البقرة آية ١٨٨

[٢] أحكام القرآن لابن عربى جـ١ ص٩٧-٩٨ بتصرف

[٣] أسباب النزول للواحدى ص٢٨ ط دار الكتب العلمية

[٤] التفسير الواضح مجلد ١ جـ١ ص١٠٧ بتصرف

قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَأكُلُواْ أَموَالَكُم بَينَكُم بِالبَاطِلِ إِلاَّ أَن تكوُنَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُم ... ﴾[١] ولما كان المال شقيق الروح والاعتداء عليه يورث العداء بل يجر إلى الجرائم، عالج القرآن ذلك فقال يأيها المؤمنون لا تكونوا من ذوى الأطماع فى حقوق الغير الذين يأكلون أموال الناس بغير حق ، فلا يأكل أحدكم مال أخيه بالباطل لكن يجوز أخذه عن طريق التجارة مادامت عن تراض منكم، مقابل العمل وحسن العرض وجذب قلوب الناس وتحقق الربح، وعدم الطمع فى حق الشريك، وقال أموالكم للإشارة إلى أن مال الفرد مال الأمة والاعتداء على مال الفرد اعتداء على مال الأمة، وإنما أبيح فى التجارة للترغيب فيها، فهى عماد الحياة ودعامة العمران متى خلت من الغش والكذب والخداع والتدليس[٢] ، فالتاجر الصدوق مصيره الجنة متى راقب ربه فى تجارته، ولما كان الطمع قد يصل إلى اليتامى نظراً لعدم وجود من يكفلهم أو يمنع عنهم التعدى، حذر الله الأوصياء من أخذ أموالهم فقال تعالى ﴿ وَءَاتُواْ اليَتَامَى~ أَموَالَهُم وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ ٱلخَبِيثَ بِٱلطَّيِبِ وَلاَ تَأكُلُواْ أَموَالَهُم إِلَى أَموَالِكُم إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴾[٣] قال مقاتل والكلبى : نزلت فى رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية، فلما سمع العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول ونعوذ بالله من الحوب الكبير[٤] ، وقال ابن العربى (روى أنه لما نزلت هذه الآية اعتزل كل ولىٌ يتيمه وأزال ملكه عن ملكه حتى آلت الحال أن يصنع لليتيم معاشه فيأكله فإن بقى شئ فسد ولم يقربه أحد، فعاد ذلك عليهم بالضرر فأرخص الله سبحانه فى المخالطة، واليتيم اسم لكل من لا أب له من

---

[١] النساء آية ٢٩

[٢] التفسير الواضح مجلد ١ جـ٥ ص٩ بتصرف

[٣] النساء آية ٢

[٤] أسباب النزول للواحدى ص٨١ ط دار الكتب العلمية

الآدميين حتى يبلغ الحلم[١] ، والمعنى فى الآية (يأيها الأوصياء فى مال اليتامى أنفقوا عليهم من أموالهم ولا تأكلوا منها شيئاً حتى تسلموها إليهم بعد البلوغ كاملة غير منقوصة، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم، فإنكم إن أخذتم من مال اليتيم تكونوا قد أستبدلتم الخبيث بدل الطيب والحرام بدل الحلال وهذا منهى عنه، ومن كان غنياً فليستعفف عن مال اليتيم، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف دون إسراف وحسب الحاجة، فإن تجاوزتم الحد فإنكم تعرضون أنفسكم لعقاب الله[٢] ، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[٣] ولقد روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض، قيل وما بركات الأرض؟ قال زهرة الدنيا، ثم قال إن هذا المال حلوة فمن أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع)[٤] ، فليحذر المسلم من أكل أموال اليتامى ظلماً.. ولما كان حق المواريث قد يضيع بين الأخوة والأخوات أو الآباء والأمهات والأعمام والأجداد وكل من له حق فى الميراث، من ذوى القرابة نتيجة الطمع. فقد جاء التشريع الإلهى لمنع ذوى الأطماع من ضياع الحقوق، قال تعالى ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَو كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴾[٥] وسبب نزول الآية أن أوس بن الصامت الأنصارى توفى وترك إمرأته أم كحلة وبنات له فمنع إبنا عمه سويد وعرفطة ميراث أوس عن زوجته

---

[١] أحكام القرآن لابن عربى جـ١ ص٣٠٩

[٢] التفسير الواضح مجلد ١ جـ٤ ص٦٩ بتصرف

[٣] النساء آية ١٠

[٤] صحيح البخارى بحاشية السندى باب ما يحذر من زهرة الدنيا ص١١٧-١١٨ مجلد٢ جـ٤

[٥] النساء آية ٧

وبناته فشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهما رسول الله. فقالا يارسول الله ولدها لا تركب فرساً ولا تحمل كلاً ولا تنكس عدواً نكس عليها ولا تكسب فنزلت الآية فأثبتت لهن الميراث[١] ، والعبرة بعموم اللفظ كما قال الجمهور لا بخصوص السبب، ثم نزلت آية المواريث فأوضحت نصيب كل من له حق فى الميراث قال تعالى ﴿ يوُصيكُمُ ٱللَّهُ فيِ أولاَدكُم للذَّكَرِ مثْل حَظِ ٱلأُنثَيَينِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوقَ ٱثنَتَينِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَت وَاحدَةً فَلَهَا ٱلنّصفُ وَلأَبَوَيهِ لكُل وَاحدٍ مّنهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّم يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥ إِخوَةٌ فَلأُمهِ ٱلسُّدُسُ مِن بَعدِ وَصيَّةٍ يُوصىِ بِهَا أَو دَينٍ ... الأية ﴾[٢] ثم أوضحت الآية التى بعدها بقية الأنصبة ليعلم كل واحد حقه فلا يعتدى على غيره كما يحدث فى العصر الحاضر عن طريق التزوير، أو أخذ حقوق البنات والنساء لضعفهن، فقد أوجبت الآيات لكل وارث نصيباً مفروضاً وقدراً محتوماً فلا يتجاوز أحد حده، بأخذ حقوق الضعفاء، لأن الكل مفارق الأولاد وليخش كل من الرجال ترك ذرية ضعفاء، فليتق المسلم ربه فى حقوق الآخرين ممن لهم نصيب فى الميراث بإعطاء كل ذى حق حقه.

ولما انتشرت ظاهرة التعامل بالربا قديماً وحديثاً، جاء القرآن يحذر من خطر هذا التعامل وينهى المؤمنين عن الإبتعاد عنه، لما فيه من أكل لأموال الناس بالباطل، قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذيِنَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقيَ مِنَ ٱلرِبَـٰٓ إِن كُنتُم مُّؤمنِينَ. فَإِن لَّم تَفعَلُواْ فَأذَنُوا بِحَربٍ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبتُم فَلَكُم رُءُوسُ أَموَالِكُم لاَ تَظلِمُونَ وَلاَ تُظَامُونَ ﴾[٣] قال عطاء وعكرمة نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب وعثمان ابن عفان وكان قد أسلفا فى التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما

---

[١] حاشية الجمل جـ١ ص٣٥٨ بتصرف

[٢] النساء آية ١١ وما بعدها

[٣] البقرة آيتا ٢٧٨-٢٧٩

صاحب التمر لا يبقى لى ما يكفى عيالى إذا أنتما أخذتما حقكما كله، فهل لكما أن تأخذا النصف وأضعف لكما، فلما حل الأجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما[١] ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ليحذر المتعاملون بالربا فى الأموال أو الزروع والثمار من الجشع والطمع فى حقوق الآخرين، والمعنى فى الآية (يأيها المؤمنون خذوا لأنفسكم الوقاية من عذاب الله واتركوا ما بقى لكم من الربا أى اقطعوا العمل به فوراً فإن لم تفعلوا ما أمرتم به فاعلموا واستيقنوا بحرب من الله ورسوله، أما حرب الله فغضبه وانتقامه، وما الآفات والأضرار التى تلحق بنا فى هذه الأيام إلا من أكل الربا واستحلاله فى كثير من معاملاتنا، وأما حرب رسوله فمناصبتهم العداء واعتبارهم خارجين عن الشرع، ولقد وصف الله آكلى الربا بأبشع وصف حيث قال ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُواْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَا وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا .. ﴾[٢] واليهود هم الأساس فى شيوعه وهم قادة التعامل به فى العالم، وقد قلدهم المسيحيون ونشروه بين المسلمين فأصبح التعامل به كثيراً، وفى ذلك أخذ لمال الغير بغير حق ولا عوض. ومعنى الآية (الذين يأخذون الربا ويستحلونه من غير وجه شرعى ويأكلون أموال الناس بالباطل قد أذلتهم الدنيا وسخرهم حب المال وركبهم الشيطان والهوى فتراهم يتخبطون فى شئونهم الدنيوية، لعدم ثباتهم، ولا يقومون فى الآخرة، كما جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة، والمس الجنون فالتخبط يكون فى الآخرة[٣] ، وقد حذر الله من أكل الربا أضعافا مضاعفة، قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ

---

[١] اسباب النزول للواحدى ص٥١ ط المكتبة العلمية

[٢] البقرة آية ٢٧٥

[٣] فتح البارى كتاب التفسير باب أحل الله البيع وحرم الربا جـ٨ ص٥١

الرِّبَا أَضعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّـهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ ﴾[١] حتى لا تشبهوا باليهود فى معاملاتهم، والمعنى (لا يليق بكم وقد خلط قلوبكم نور الايمان أن تأكلوا الربا حال كونه أضعافاً مضاعفة، كما كنتم تفعلونه فى الجاهلية، حيث كانوا يعطون المال لأجل فإذا حل الأجل فإما أن يدفع المدين أو يزيد عليه فى الدين، وهذا ربا النسيئة، أما ربا الفضل فهو بيع ربوى بمثله مع الزيادة فى أحدهما والربا ثابت تحريمه بنوعيه، وهو خطر على الأمة والفرد[٢] ، والحكمة من تحريمه تقوم على دعائم ثلاث: ـ

أولاً: الدعامة الأخلاقية فهو من الناحية الخلقية جشع وشره واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان استغلالاً تأباه الأخلاق والفطرة السليمة.

ثانيا: الدعامة الاجتماعية: فهو يزرع الأحقاد والحزازات فى النفوس بين أفراد المجتمع ويقطع ما بينهم من أواصر الأخوة والمحبة والتعاون.

ثالثاً: الدعامة الاقتصادية فهو تعطيل للمال أن يستغل فى طرقه المشروعة من تجارة أو زراعة أو صناعة، وهو استغلال لأموال الغير بالباطل[٣] ، ولقد ذم الله اليهود لتعاملهم بالربا فقال تعالى ﴿ وَأَخذِهِمُ الرِّبَا وَقَد نُهُواْ عَنهُ وَأَكلِهِم أَموَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ﴾[٤] فقد بينت الآية الأسباب التى أدت إلى ظلم اليهود وتحريم كثير من الطيبات عليهم فمنها أخذهم الربا من غيرهم وأكله معتقدين حله، وبسبب أكلهم أموال الناس بالباطل من طريق الرشوة والنصب والإحتيال والغش والسرقة واحتكار السلعة، والتحكم فى الأوراق المالية وغيرها، فكان جزاؤهم العذاب الأليم، والآية

---

[١] آل عمران آية ١٣٠

[٢] التفسير الواضح جـ٤ ص٢٦، ونظرة الاسلام إلى الربا للشيخ محمد أبو شهبة ص١٩ ط سنة١٩٧١

[٣] نظرة الاسلام إلى الربا كتاب ٣٢ سلسلة البحوث الاسلامية ص٢٥ـ٢٧

[٤] النساء آية ١٦١

نهى عن التعامل بالربا مع أنهم يأخذون به فهل يجوز معاملاتهم؟ ظنت طائفة أنه لا يجوز التعامل معهم لما فى أموالهم من الفساد، والصحيح جواز معاملاتهم لقوله تعالى ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُم وَطَعَامُكُم حِلٌّ لَّهُم ﴾[١] وقد عامل النبى صلى الله عليه وسلم اليهود وسافر إليهم تاجراً، وهذا دليل على جواز السفر إليهم والتجارة معهم كما قال ابن العربى[٢] ، ولقد روى أبو داود الترمذى وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ؟ ثم يلقاه من الغد فلايمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ. كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه (أى تعطفنه) على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم ليلعنكم كما لعنهم)[٣] ومن أكل الأموال بالباطل ما يقوم به بعض المنحرفين بالسرقة أو بالإغتصاب وقطع الطريق وترويع الآمنين وإرهابهم، إما لتحقيق هدف لأنفسهم، أو لكونهم باعوا أنفسهم أجراء لأعداء الحق كما يحدث فى الوقت الحاضر، ولكن الاسلام لهؤلاء بالمرصاد، فلقد وضع العقوبات والزواجر التى تتفق مع طبيعة الجرم، لكون الجريمة ليست اعتداء على حق فرد أو مجتمع، ولكنها عدوان على حق من حقوق الله تعالى يقول الأستاذ/ عبد القادر عودة

---

[١] فى الآية ٥ من سورة المائدة

[٢] فى أحكام القرآن جـ١ ص٥١٤-٥١٥

[٣] سنن أبى داود كتاب الملاحم باب الأمر والنهى جـ١ص١١٩ ط دار الريان والآيتان من سورة المائدة ٧٨، ٧٩

(والأصل فى الشريعة أن فرض العقوبة حق لله تعالى، ولكن الشريعة جعلت استيفاء بعض العقوبات حقاً للأفراد كعقوبة القصاص والدية فلهم أن يتمسكوا بها أو يتنازلوا عنها[1] ، ولقد جاء القرآن بالتشريعات الجنائية التى تحمى المجتمع من الجرائم والشرور وتحافظ على النفوس والأعراض والأموال من العبث والتعدى عليها من هذه التشريعات، ما وضعه الاسلام من عقوبات رادعة لقطاع الطريق الذين يعيثون فى الأرض فساداً ويظلمون الناس ويسلبون الحقوق بالبغى والعدوان قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاؤاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسعَونَ فِي ٱلأَرضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَو يُصَلَّبُواْ أَو تُقَطَّعَ أَيديهِم وَأَرجُلُهُم مِنَ خِلاَفٍ أَو يُنفَواْ مِنَ ٱلأَرضِ ذَلِكَ لَهُم خِزيٌ فِي ٱلدُّنيَا وَلَهُم فِي ٱلأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2] فى نزول هذه الآية أقوال : ـ

الأول: أنها نزلت فى أهل الكتاب نقضوا العهد وأخافوا السبيل وأفسدوا فى الأرض.

والثانى: أنها نزلت فى المشركين قاله الحسن.

والثالث: أنها نزلت فى العرنيين الذين كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعى النبى الذى أرسله معهم، ومن قال إنها نزلت فى المشركين أقرب إلى الصواب لأنهم هم الذين يعيثون فى الأرض فساداً وهى تتناول المسلمين أيضاً فالعبرة بالعموم[3] ، والمعنى فيه أقوال منها أن يقتلوا إن قتلوا أو يصلبوا إن قتلوا وأخذوا المال، أو ينفوا من الأرض إن أخافوا السبيل قاله ابن عباس والحسن وقتادة والشافعى وجماعة، وهذا المعنى مناسب لمفهوم الآية[4] .

---

[1] التشريع الجنائى فى الاسلام جـ١ ص١٢٥ دار التراث

[2] المائدة آية ٣٣

[3] أحكام القرآن لابن عربى جـ٢ ص٥٩٤ ـ ٥٩٥ بتصرف

[4] المرجع السابق ص٥٩٩ بتصرف

كما قضى الإسلام بعقوبات رادعة للسارق الذى يباغت الناس فى منازلهم ومواطن أمنهم فيأخذ أموالهم، قال تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

روى أحمد وغيره أن هذه الآية نزلت فى المرأة التى كانت تسرق المتاع لما قالت للنبى صلى الله عليه وسلم بعد قطعها هل لى من توبة، والعبرة بعموم اللفظ والكلام عام فى كل سارق وسارقة، ومعنى الآية (فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة فمن يسرق منهما فاقطعوا أيديهما جزاء لهما على ارتكاب فعلهما، وانتهاك حرمة الغير بأخذ ماله، ولأن السرقة قد تجر إلى القتل، والقطع معناه الإبانة والإزالة، وقد بينت السنة موضع القطع الرسغ، وقال قوم من المرفق، ولابد أن يكون فى ربع دينار فصاعداً[2] ، وقال قوم فى دينار أو فى ثلاثة أو فى اكثر من ذلك كما قال ابو حنيفة وقد بينت السنة هذا الحد تفصيلاً فى بيان موضع القطع وفى النصاب الذى يجب فيه القطع، ونصت الآية على السارق والسارقة لزيادة البيان، وقال أيديهما لكراهة الجمع بين تثنيتين، حيث تقطع اليد من المفصل عند السرقة، فإن تكررت قطعت الأخرى ولقد أمر الإسلام بتطبيق الحدود فى هذه الأمور ردعاً للخونة التى يعبثون بالناس، وتحقيقاً للأمن وحفظاً للحقوق، ولا شفاعة فى الحد فعلى الحاكم وأولياء الأمور تطبيقه دون محاباة لأحد، ولقد روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه، فى بيان حد المرأة المخزومية التى سرقت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أرسلوا إليه أسامة بن زيد ليشفع فى هذا الحد، فانكر عليه النبى ذلك، وقال له (أتشفع فى حد من حدود الله)، ثم قام فخطب فقال (يأيها الناس إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف

---

[1] المائدة آية ٣٨

[2] فتح القدير جـ٢ ص٣٩ ـ ٤٠ بتصرف

تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[١] ، فلا محاباة أو مجاملة فى إقامة الحد، بل عدل بين جميع الطبقات والفئات، الكل أمام القانون سواء، فهل آن للخونة والذين يعيثون فى الأرض فساداً أن يرجعوا عن غيهم قبل تعرضهم للعقاب، والواجب على أولياء الأمور مقاومة وسائل الأنحراف فى التجارة بوسائلها المختلفة ووضع حد للقضاء على تلك الوسائل المدمرة فى المجتمع من جشع واستغلال وسرقة وغش وتناول المخدرات، والتجارة فى الممنوعات وغيرها، ولم يكن أكل أموال الناس بالباطل قاصراً على ما ذكرته سابقاً فقط بل هناك وسائل أخرى كثيرة حرمها الإسلام كالسحر والزار والقمار أو التعدى على ممتلكات الدولة أو الممتكات الخاصة أو التدمير فى الممتلكات العامة، لأنها ملك للجميع كالحدائق والطرق والكهرباء والماء والمصالح العامة، ففى التعدى على ذلك أكل للأموال بالباطل، وكل من يتناول شيئاً غير حقه من جهة العمل فهو أكل لأموال الناس بالباطل، وكذلك عدم إعطاء العمال حقوقهم، أو الغش فى الصنعة أو فى العمل من عدم إعطائه حقه المحدد له قانوناً، وكذلك على الطبيب والمدرس والعامل والصانع أن يخلصوا لله فى أعمالهم، وليعلموا أن عملهم إنسانى قبل النظر إلى المادة والجشع فهذا أكل للأموال بالباطل، وإنى أقول للمستهترين : إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم فلا تسألوا عنها، واتقوا الله فى الأعمال والأموال تفوزوا برضا ربكم، وإن من الواجب على الحكومة وضع حد للغلاء رحمة بالضعفاء وأن تنشئ مصرفاً للتسليف والقرض بلا فائدة للقضاء على الوسائل المحرمة فى أكل أموال الناس بالباطل.

---

[١] سنن أبى داود كتاب الحدود باب فى الحد يشفع فيه جـ٤ ص١٣٠

(إنفاق المال فى وجوه البر)

إن الإسلام أمر بتطهير المجتمع من وسائل الاحتكار والاستئثار بالمادة والقضاء على الطبقية، فشرع الزكاة فى وجوهها المشروعة تطهيراً لنفس المزكى ولنفس الفقير وللمال الذى تخرج منه، فيتعود المزكى نبل التضحية بالمال، ويذهب ما فى صدر الفقير من بؤس وضيق، وينمو المال. قال تعالى ﴿ خُذ مِن أَموَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِرُهُم وتُزَكِيّهِم بِهَا ﴾[١] يقول الأستاذ/ عباس محمودالعقاد فى كتاب الفلسفة القرآنية فصل الفرائض والعبادات (الزكاة مصلحة للجماعة لأنها تقيم دعائم التعاون بين المجدودين والمحرومين، وتعالج مشكلة الفقر والحاجة علاجاً يقوم على التعاطف والولاء، وهذا ما تضمنه الاسلام من فرض حق للفقراء فى مال الأغنياء، حتى يضمن لكافة الأفراد حَدّاً متوازناً لا يهبطون عنه، قال تعالى ﴿ وَالَّذِيَن فِي أَمَوَالِهِم حَقٌ معلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحرُومِ ﴾[٢] أى جزء مقسوم ونصيب مقرر لذوى الحاجات من الزكاة والصدقات. والسائل هو الذى يبتدئ بالسؤال والطلب وله حق، والمحروم الذى لا يسأل الناس شيئا كما قال قتادة والزهرى، وقالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها الذى لا يكاد يتيسر له مكسبه، واختار ابن جرير أنه الذى لا مال له بأى سبب كان[٣] ، كما شرع الاسلام الصدقات وأوضح مصارفها.

قال تعالى ﴿ إِنَّمِا الْصدَّقَاتُ لِلفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيهَا وَالْمُؤلَّفَةِ قُلوبُهُم، وَفِي الْرِقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيم حَكِيمٌ ﴾[٤] قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة لا تتعداهم إلى غيرهم لشدة حاجتهم

---

[١] فى الآية ١٠٣ من سورة التوبة

[٢] سورة المعارج آيتا ٢٤،٢٥

[٣] تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٣٤ بتصرف

[٤] التوبة آية ٦٠

إليها، فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها، وأن تصرف إلى بعضها وعليه مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه، وعند الشافعى لابد من صرفها إلى الأصناف الثمانية، وعن عكرمة أنها تفرق فيهم : وقال ابن عباس وحذيفة وغيرهما من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أنهم قالوا فى أى صنف منها وضعتها أجزأك[١] ، والفقير هو الذى لا يملك شيئاً، والمسكين هو الذى ليس عنده ما يكفيه، "والعاملين عليها" السعاه الذين يقبضونها دون أجر "والمؤلفة قلوبهم" من دخلوا فى الاسلام حديثاً، أو من كان يستألفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراف العرب ليسلموا، "وفى الرقاب" أى في فك رقاب العبيد بالعتق أو الأسرى من الأسر. والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون ما يسدها، أو الذين تحملوا الحمالات فتدينوا فيها وغرموا (وفى سبيل الله) الغزاة فى الجهاد والحجيج المنقطع بهم، وأصحاب الدعوة لإعلاء كلمة الله، أو إقامة بيوت الله، وكل ما فيه نفع عام للمسلمين (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وأهله فى حب الله أو طلباً للعلم النافع، فيجوز للمسلم أن يصرف لهؤلاء من ماله توثيقاً لعرى روابط الأخوة والمحبة وبراً بالمحتاج، وتراحماً بين الناس، فلو تراحم الناس ما كان بينهما جائع ولا عار، والراحمون يرحمهم الرحمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه. التقوى ها هنا وأشار إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[٢] وأمر الاسلام المسلم بأن ينفق مما يحب من الطيب الحلال قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ

---

[١] الكشاف جـ٢ ص١٥٨ بتصرف ط دار المعرفة

[٢] رياض الصالحين باب تعظيم حرمات المسلمين كتاب البر والصلة ص١١٦ نقلا عن صحيح مسلم

مَا كَسَبتُمْ وَمِمَّا أَخرَجنَا لكَمْ مِنَ ٱلأَرضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ ٱلخَبِيثَ مِنهُ تُنفِقُون وَلستُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغمِضُواْ فِيهِ وَٱعلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1] نداء إلى المؤمنين حثا لهم على الانفاق والتصدق ، قال الامام النسفى (أى من جياد مكسو باتكم ، وفيه دليل على وجوب الزكاة فى أموال التجارة (ومماأخرجنا لكم) من الأرض من الحب والثمر والمعادن وغيرها ، والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات (ولا تيمموا الخبيث) أى ولاتقصدوا المال الردئ تخصونه بالإنفاق. فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة نخلاً وكانت أحب أمواله إليه بَيْرَحاء وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيبا، فلما أنزلت ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قام أبو طلحة فقال يارسول الله؟ إن الله يقول ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وإن أحب أموالى إلى بَيْرحاء وإنها صدقة لله أرجو برّها وزخرها عند الله فضعها يارسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بَخٍ. ذلك مال رابح؟ ذلك مال رابح؟ وقد سمعت ما قلت وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين قال أبو طلحة أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمة)[2] . وأفضل الصدقات من الأموال للأقارب لكونها صلة وقربة قال تعالى ﴿يَسئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُل مَا أَنفَقتُم مِّن خَيرٍ فَلِلوَالِدَينِ وَالأَقرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفعَلُواْ مِن خَيرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[3] وجاء فى حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها قالت سألت أو سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الزكاة فقال إن فى المال لحقاً سوى الزكاة ثم تلى هذه الآية ﴿لَّيسَ ٱلبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُم قِبَلَ ٱلمَشرِقِ وَٱلمَغرِبِ وَلَكِنَّ ٱلبِرَّ مَن ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱليَومِ ٱلأَخِرِ وَٱلمَلَئِكَةِ وَٱلكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ

---

[1] البقرة آية ٢٦٧

[2] فتح البارى كتاب التفسير باب لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جـ٨ ص٧١

[3] البقرة آية ٢١٥

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَى حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُربى وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّائِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَاةَ... الآية﴾[١]، قال قتادة ذكر لنا أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله تعالى هذه الآية، قال وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده وسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢]، وقال الربيع وقتادة الخطاب لليهود والنصارى لأنهم اختلفوا فى التوجه والتولى فاليهود إلى المغرب قبل بيت المقدس والنصارى إلى المشرق مطلع الشمس وتكلموا فى تحويل القبلة ولا مانع من العموم لهم ولغيرهم من المسلمين وقال القرطبى (هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته والحشر والنشر والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار والملائكة والكتب المنزلة وأنها حق من عند الله والنبيين وإنفاق المال فيما يعنى من الواجب والمندوب، وإيصال القرابة وترك قطعهم وتفقد اليتيم وعدم إهماله والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل قيل المنقطع وقيل الضيف، والسائلين وفك الرقاب والمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر على الشدائد[٣]، وقال الثورى هذه أنواع البر كلها فإن من أتصف بهذه الآية فقد دخل فى عرى الإسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله[٤] ثم نصت الآية ضمن ما نصت على أركان الإيمان ثم أخبرت عن الإنفاق بقوله تعالى ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَى حُبِّهِۦ﴾ أى وهو محب له راغب فيه لذوى القرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وإقامة الصلاة أى أتم أفعال الصلاة بركوعها وسجودها وخشوعها وآتى

---

[١] سنن الترمذى باب إن فى المال حقا سوى الزكاة جـ٣ ص٣٩ والأية من سورة البقرة ١٧٧

[٢] اسباب النزول للواحدى ص٢٦ ط دار الكتب العلمية

[٣] تفسير القرطبى جـ١ ص٧٢٧ ط دار الكتب العلمية

[٤] تفسير ابن كثير جـ١ ص٢٠٧

الزكاة يحتمل أن يكون المراد به زكاة المال ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأوصاف المذكورة إنما هو التطوع والبر والصلة كما سبق فى حديث فاطمة ويحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتطهيرها من الأخلاق الدنيئة وقد حث الله على الإنفاق فى سبيله وأوضح جزاء المنافقين، فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجرٌ كَرِيمٌ ﴾[١] كما بين تضاعف الجزاء، فقال تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَت سَبعَ سَنَابِلَ فِي كُلِ سُنبُلَةٍ مِاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢] وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن (فقال إنك تأتى قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد فى فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)[٣]، أما أصحاب النفوس الشحيحة والبخلاء الذين يمنعون حق الله فى الأموال ولم ينفقوا منها فى وجوه الخير فإنهم يعرضون أنفسهم لعقاب الله لأن المال قد يكون نعمة للاختبار كما حدث لقارون وأمثاله، وقد يكون منع التصدق نقمة كما حدث لأصحاب الجنة الذين عقدوا العزم على جنى ثمارها ليلاً دون أن يخرجوا حق الله فيها ﴿ فَأَصبَحَت كَٱلصَّرِيمِ ﴾[٤] أى احترقت فاسودت كالليل المظلم أو هلكت كلها فأصبحت يابسة فاتقوا الله فى الأموال بإنفاقها فى مصارفها المشروعة، واتقوا النار ولو بشق

---

[١] الحديد آية ١٨

[٢] البقرة آية ٢٦١

[٣] سنن أبى داود كتاب الزكاة ح١٥٨٤ جـ٢ ص١٠٧ ط دار الريان

[٤] القلم آية ٢٠ وانظر ما قبلها وما بعدها.

تمرة، وأعلموا أن الله سائلكم عن أموالكم من أين اكتسبتموها وفيم أنفقتموها وليكن لكم فى السلف الصالح قدوة حسنة ﴿لَّقَد كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرجُواْ ٱللَّهَ وَاليَومَ ٱلأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً ﴾[١] .وأما ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَواْ فِي ٱلبِلَادِ فَأَكثَرُواْ فِيهَا ٱلفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيهِم رَبُّكَ سَوطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلمِرصَادِ ﴾[٢] لكل من تجبر وتكبر وظلم غيره.

(الطريقة المثلى فى الإنفاق):- إن الإسلام دين الاعتدال والتوسط الذى تتفق تكاليفه وطاقة البشرية والذى دعا إلى الحب والتآخى والولاء والإتحاد، قال تعالى ﴿ وَٱعتَصِمُواْ بِحَبلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَتَفَرَّقُواْ وَٱذكُرُواْ نِعمَتَ ٱللَّهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَاءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِۦ إِخوَاناً... ﴾[٣] . ليجعل من المسلمين قوة لتعمير الكون والتمكين فى الأرض وهذا لايتحقق إلا بمد يد العون للمحتاج لتوثيق الروابط بين المجتمع الإنسانى، والإنسان حيثما ينفق من ماله جعل الإسلام له قيوداً فنهاه عن إنفاقه فى الحرام والوجوه غير المشروعة وأن لايتجاوز فى إنفاقه حدود حاجته حتى لايترك ورثته عالة يتكففون الناس، ونهاه عن التبذير بقوله ﴿ وَلاَتُبَذِّر تَبذِيراً. إِنَّ ٱلمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيطَانُ لِرَبِّهِۦ كَفُوراً ﴾[٤] وأمره بالإنفاق فى الوجوه المشروعة من الزكاة والصدقات والبر والصلة وقضاء حوائج المسلمين إنفاقاً معتدلاً، فإن خير الأمور أوساطها، ولذلك امتدح الله عباد الرحمن بأنهم ينفقون من أموالهم باعتدال وحسن تصرف فقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَم يُسرِفُواْ وَلَم يَقتُرُواْ وَكَانَ بَينَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾[٥]

---

[١] الأحزاب آية ٢١

[٢] الفجر الآيات (١١ـ١٤)

[٣] آل عمران آية ١٠٣

[٤] الإسراء آيتا ٢٦،٢٧

[٥] الفرقان آية ٦٧

قال الإمام النسفى (لم يجاوزوا الحد فى النفقة، أو لم يأكلوا للتنعم، وعن ابن عباس رضى الله عنه لم ينفقوا فى المعاصى، فالإسراف مجاوزة القدر (ولم يقتروا) القتر والتقتير التضييق الذى هو نقيض الإسراف (وكان بين ذلك) الإسراف والاقتار (قواما) أى عدلا بينهما، فالقوام العدل بين الشيئين، وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير، وقيل أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لايأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة ودفع الحر[١] ، ليكون لغيرهم القدوة فى ذلك. فالمقصود من الإنفاق حينئذ الإعتدال فيه سواء أكان إنفاقاً يتعلق بحاجة الأسرة أو يتعلق بالصلة والبر بالأقارب أو تصدقاً على الفقراء والمحتاجين أو مساهمات فى تنمية المجتمع المسلم أو تجهيزاً لجيش المسلمين من أجل الدفاع عن العقيدة وعن الوطن، ومقاومة أعداء الحق فى كل زمان ومكان، والتوسط فى الإنفاق أفضل من تبذير يترتب عليه ضياع المال وأفضل من الشح و البخل الذى يترتب عليه كنز الأموال والإحتكار وسوء الخلق، وخلق طبقة جشعة في وسط المجتمع، وازدياد الفقير فقراً وألماً، مما يؤدى إلى إصابته بالكآبة وسوء الخلق، والإتجاه إلى السرقة وغيرها إذا لم يجد عين الرحمة بين المسلمين قال تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَيَطغَى. أَنْ رَّءَاهُ ٱستَغنَى ﴾[٢]ولقد حذر الله من الإسراف والبخل فقال مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم وكل مسلم ﴿ وَلاَ تَجعَل يَدكَ مَغلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبسُطهَا كُلَّ ٱلبَسطِ فَتَقعُدَ مَلُوماً مَّحسُوراً ﴾[٣] وهذه الآية تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، والخطاب عام، وفيه أمر بالاقتصاد الذى هو بين الإسراف والتقتير، يقول ابن كثير يقول تعالى آمراً بالاقتصاد فى العيش ذاما للبخل ناهياً عن السرف (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أى لاتكن بخيلاً منوعاً

---

[١] تفسير النسفى جـ٣ ص١٧٤،١٧٥ ط عيسى الحلبى.

[٢] العلق آيتا ٦،٧

[٣] الإسراء آية ٢٩

لاتعطى أحداً شيئاً ولا تبسطها كل البسط أى لاتسرف فى الإنفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك (فتعقد ملوماً محسوراً) أى فتقعد إن بخلت ملوماً عند الله يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك، ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شئ تنفقه فتكون كالحسير وهى الدابة التى عجزت عن السير[١] من حسره السفر إذا أثر فيه أثراً بليغاً، أو عارياً من حسر رأسه، وقد خاطرت مسلمة ضرتها اليهودية فى أنه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم أجود من موسى عليه السلام فبعثت إبنتها تسأله قميصه الذى عليه فدفعه وقعد عرياناً فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت[٢] ، وفيها دليل على جوده عليه الصلاة والسلام فقد كان جواداً وكان أجود ما يكون فى رمضان، وقال الحسن ليس فى النفقة فى سبيل الله سرف، وقال إياس بن معاون ماجاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف، وقال غيره السرف النفقة فى معصية الله عز وجل، والشح والبخل مرض نفسى يتصف به من ضعف إيمانه.

جاء عن عبد الله بن عمرو قال: (خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا)[٣] والأعتدال وسيلة من وسائل استمرارية الحياة، وتحقيق التوازن المادى بين البشر، وهو يقضى على كل وسائل الإنحراف فى الأموال، فليكن للمسلمين فى السلف الصالح القدوة الحسنة فى التوسط فى الإنفاق من أجل قضاء المصالح الخاصة والعامة، وسد حاجة المحتاج، ومجاهدة الأعداء لإعلاء كلمة الله.

---

[١] تفسير ابن كثير جـ٣ ص٣٧

[٢] تفسير النسفى جـ٢ ص٣١٣

[٣] سنن أبى داود كتاب الزكاة باب فى الشح جـ٢ ص١٣٧

وإنى آمل من المسئولين ومن وسائل الإعلام أن تقوم بتوجيه الناس جميعاً والشباب خاصة إلى المحافظة على الأموال والحقوق وعلى الممتلكات العامة. وأن تدعوهم إلى الجد والنشاط فى العمل من أجل كسب حلال، وعلى المسئولين أن يوفروا للشباب فرص العمل المناسبة للقضاء على ظاهرة البطالة وما يترتب عليها من أخطار وأضرار.

كما آمل من وسائل الإعلام المختلفة أن تقوم بنشاطها فى التوجيه والبيان فى المحافظة على أماكن العمل ووسائل المواصلات والطرق العامة والكهرباء والماء والحدائق وأماكن الصرف وكذلك المدارس ودور الصحة والرعاية الاجتماعية وغيرها عن طريق إعلانات يشاهدها الناس، كما آمل من المسئولين أن تكون هناك قوانين ردع لكل من تسول له نفسه بالإهلاك والفساد، أو التعدى على حقوق الغير بأية وسيلة، فلنعد إلى منهج الإسلام وتشريعاته، ولنتمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهما خير وسائل الإصلاح وتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ كُنتُم خَيرَ أُمَةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيداً... ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ فَليَحذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَن أَمرِهِۦ أَن تُصِيبَهُم فِتنَةٌ أَو يُصِيبَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

---

[1] آل عمران آية ١١٠

[2] البقرة آية ١٤٣

[3] فى الآية ٦٣ من سورة النور

وفى ختم هذا البحث أدعوا الله أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه مصداقاً لقوله تعالى ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصلاَحَ مَااسْتَطَعْتُ وَمَا تَوفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ ﴾ [١] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د/ محمد شبل مصطفى عطية

١٩٩٥/١/١م

---

[١] فى الآية ٨٨ من سورة هود

مراجع البحث:

١. القرآن الكريم ومعاجمه

٢. الحديث الشريف ويشمل:

١. صحيح البخارى وفتح البارى بشرح صحيح البخارى

٢. صحيح مسلم

٣. فتح المنعم بشرح صحيح مسلم

٤. الأربعين النووية ومختصر النبراوى

٥. كشف الغطاء للعجلونى

٦. كنز العمال

٧. جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى

٨. رياض الصالحين

٩. سنن أبى داود

١٠. سنن الترمذى

١١. سنن ابن ماجه

٣. التفسير ويشمل:

١. تفسير ابن كثير

٢. تفسير القرطبى

٣. تفسير القاسمى

٤. أحكام القرآن لابن عربى

٥. الكشاف للزمخشرى

٦. فتح القدير للشوكانى

٧. حاشية الجمل على الجلالين

٨. صفوة التفاسير للصابونى

٩. التفسير الواضح د/حجازى

١٠. تفسير النسفى

١١. أسباب النزول للواحدى

٤. علوم أخرى وتشمل:

١. إحياء علوم الدين للغزالى

٢. مجلة منبر الإسلام

٣. تجديد الفكر الدينى فى الإسلام

٤. المنقذ من الضلال

٥. مجلة الوعى الاسلامى

٦. روح الحضارة الاسلامية مجلة كلية أصول الدين

٧. المستصفى للامام الغزالى

٨. التشريع الجنائى فى الإسلام

٩. نظرة الإسلام إلى الربا

١٠. نشأة المجتمع الإسلامى

تم بعون الله وتوفيقه.